Kırıkkale Üniversitesi
Sosyal Bilimler Dergisi (KÜSBD)

ISSN 2146-2879 Kirikkale University Journal of Social Sciences E-ISSN: 2717-6231

Makale Bilgisi/Article Info
Geliş/Received: 18.03.2021 Kabul/Accepted: 10.05.2021
Araştırma Makalesi/Research Article, s./pp. 699-709

أَضْرُبُ (إلا) في العربيّة جَمْعًا ودراسةً

Hüseyin YUSUF [i]

ملخص

ملخَّصٌ: هذا بحث أتناول فيه أقسام (إلّا) في العربية وأحكامها ومعانيَها واستعمالاتها في كلام العرب شعرًا ونثرًا، والذي دفعني إلى اختيار هذا الموضوع، والوقوف عنده أنَّ (إلّا) ترِد في العربية بأشكال مختلفة، وصور متنوعة، واستعمالات متعددة مما يُلْبِسُ على القارئ في تحديد نوع (إلّا) الواردة في الاستخدام، أهي أداة استثناء على المعهود؟ أم أنها اسم بمعنى "غير" جاء صفة لما قبله؟، أم أنَّها حرف عطف كما يرى جمهور أهل الكوفة؟، أم أنَّها زائدة لاتفيد معنى من المعاني السابقة؟ أم أنَّها مركّبة من "إنْ" الشرطية، و"لا" النّافية؟ أَمْ أَنَّها اِسْتِدْراكِيّةٌ ما بعدها منقطع عما قبلها، وسأضع في هذا البحث يد القارئ الكريم على الفاصل بين هذه الأنواع، وعلى كيفيّة معرفة النّوع الذي نحن بصدده، وقد سلكت في هذه الدراسة المنهج التكامليّ، وناقشت الآراء بالدليل، ورجحت ما أراه صوابًا، وما تنصرف عنه نفسي مطمئنة، كل ذلك مشفوع بالدليل، وقد آثرت أن أربط ما يمكن ربطه من أنواع (إلّا) بآيات القرآن، وأحاديث السنة النبوية، ثم ذيّلت البحث بأهم نتائجه، فجملة من الفهارس الفنيّة.

الكلمات المفتاحية: *العَرَبِيَّة، جمعًا، دِرَاسَة، أَضْرُبُ، إِلّا.*

Arap Dilinde''illa''nın Kısımlarının Toplanılıp İncelenmesi

Öz

Bu çalışma "illâ"nın kısımlarını, hükümlerini ve manalarını içermekte; düz yazı ve şiirde ihtiyaç duyulan kullanım şekillerini açıklamaktadır. "İllâ" Arapçada çok geniş bir anlam yelpazesine sahiptir: Cümle içinde kimi yerde istisna durumunu karşılayabilir, "başka" manasına gelip kendinden önceki kelimenin sıfatı olabilir, Kufe ekolünün görüşüne göre cümlede atıf görevini üstlenebilir, cümlede "zaid" olarak yer alıp yukarıda bahsi geçen hiçbir manayı kapsamayabilir, şart edatı olan "إن" ile olumsuzluk için gelen"لا" nın birleşmesiyle oluşabilir, kendisinden önceki cümleden bağımsız olarak telafi manasını ifade edebilir.

"İllâ"nın Arap dilinde birbirinden çok farklı manalara gelmesi ve farklı şekillerde kullanılması; okuyucunun birbirinden çok farklı bu manaları belirleyebilmesinin oldukça güç olması bizi bu çalışmayı hazırlamaya iten temel sebeplerdendir. Söz konusu çalışmada, bu farkların hepsi detaylarıyla ele alınmış, okuyucunun bu farkları ayırt etmeyi başarması hedeflenmiştir.

Anahtar Kelimeler*: Arapça, Toplama, Araştırma, Çeşitler, İllâ.*

The Forms Of "Illa" in Arabic, Gathering And Studying

Absract

In this Research, I'm speaking about the forms of "ILLA" in Arabic, its grammar, meanings and uses in the poetry and prose. I choose this subject to spotlight on the different forms of this word, how and where it used, which making it difficult for the reader to determine the forms of "ILLA": whether it is

[i] DR.Öğretim Üyesi İstanbul 29 Mayıs Üniversitesi, Edebiyat Fakültesi, Mütercim tercümanlık Anabilim Dalı, İstanbul, Türkiye, e-posta: hyusuf@29mayis.edu.tr, dr.husseinelyousef@gmail.com., ORCID ID: 0000-0002-0663-0754

an exception tool of which is known? it is a name, which has meaning of “non”, so it describes the word before it? it is a conjunction tool according to Al-Kufa community? it is extra word not mean any of former meanings? it is a mixture of a "IN" conditional tool and " LA" of Negation? Or it is a recovery character, which separates the follow speech from the previous one.
The research aims to make reader recognizes between these forms. I use the integrated methodology to discuse the opiniops according to evidence, I choose what I think it is true, and I feel comfortable of my results, because I depend on evidences from the Holy Quran and Hadiths of the Sunnah.
At the end of the research, you can see the most important results and the references.

***Keywords**: Arabic, Gathering, Studying, Forms, “ILLA”.*

مقدّمة:

لحمد لله، والصّلاة والسّلام الأتمّان الأكملان على سيّدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد... فأقسام "إلّا" تتنوّع في العربيّة، وهذه الأقسام متناثرة في بطون الكتب، متفرّقة بين صفحاتها، لاينظم شتاتها مكان، ولايجمع شواردها بحث، وقد تلبس كثيرًا على القارئين، فيحار القارئ في تحديد نوعها، وتبيين أمرها، وقد كتب فيها المتقدّمون، ووقف عند أحكامها العالمون، وعلى رأسهم ابن هشام في مغنى اللبيب، وغير ابن هشام من أهل الصنعة في النّحو، ولكنّي رأيت أنّ (إلّا) لم تستوف حقّها دراسة، وبحثًا، وكتابة، ولم يكتب عن أنواعها كلّها في بحث مستقل، ينظم الشوارد، ويقيّد الأوابد، فعقدت العزم على تناول هذا الموضوع والكتابة فيه، والوقوف عند الأحكام الّتي فيه، وقد آثرت أن أربط أقسام "إلّا" -قدر الإمكان- بما ورد في الذّكر الحكيم، وأثر عن النّبيّ الكريم، وإلّا فمن منثور العرب، ومنظومهم، ولم يكن الوقوف على آراء العلماء في بطون أمات الكتب بيسير، فقد رجعت إلى كثير من الكتب التي تطرقت إلى أنواع "إلّا" باحثًا في صفحاتها عن أنواع جديدة، وآراء مبتكرة فيها، واستخداماتها، وقد نهجت نهجًا مختصرًا في التطرق إلى ما قيل فيها، وفي وأنواعها، واستخداماتها؛ خشية أن يكون ما أقوله في هذا البحث المقتضب معادًا ومكرورًا، وإني لآمل أن أكون قد وفقت فيما أبتغيه، وأصبو إليه وأعنيه، وأعوذ بالله من لفظ يَجْمَحُ، ورأي إلى الخصام يَجْنَحُ.

(إلا) الاستثنائيّة

لفظة الاستثناء في اللّغة مصدر على وزن "الاستفعال" يقال في العربية: استثنى الشيء يستثنيه استثناء، إذا أفرده بحكم مخالف لحكم ماقبله، فحين نقول: جاء الطلّاب كلّهم إلا خالدًا، فقد استثنينا خالدًا من الحكم المسند إلى الطلاب، وهو المجيء، والأصل في الاستثناء أنه من قولهم: "ثَنَيْتُ عليه" أي: عَطَفْتُ، ورَجَعْتُ، والتَفَتُّ؛ لأنّ الذي يُخْرِجُ بعض الكلام من الجملة، عاطِفٌ عليها باقتطاع بعضِها، وجزءٍ منها عن الحُكْم المَذْكُورِ، ومعلوم أن المستثنى، يخالف المستثنى منه في الحكم. (الأنباري، ١٤٢٤، ١٨٥). وفيما يتعلق بتعريف الاستثناء وحَدِّهِ في اصطلاح النّحاة، فهناك تعريفات كثيرة، وحدود متباينة، والجامع المانع منها، قولهم:"إخراجُ ما لَوْلَا إخراجُهُ، لَتَنَاوَلَهُ الحُكْمُ المَذْكُورُ، أو هو: إِخْرَاجُ بَعْضٍ مِنْ كُلٍّ بـ"إلا" أو ما قام مَقامَها". (القَرَافِيّ، ١٩٨٦، ص ٢١).

والذي يقوم مقام (إلّا) ثلاثة أضرب: ضرب من الأسماء، وهو: "غير"، و"سوى"، وضرب من الأفعال: وهو: "ليس"، و"لايكون"، و"خلا" و"عدا" المقرونتان بـ"ما" المصدرية، وضرب مُتَرَدِّدٌ بين أن يكون من الأفعال أو الحروف، وهو: "عدا" و"خلا" العاريتان من "ما" المصدرية، وأمَّا"حاشَا"، فمما اتُّفِقَ على أنَّه يكون حرفًا، واخْتُلِفَ في مجيئه فعلًا، وزاد أبو عليٍّ الفارسي، على أدوات الاستثناء المشهورة "ولاسيما"، والظاهر أن "ولاسيّما" مُلَفَّقةٌ من مجموع الحرف والاسم، فـ"لا" حرف، و"سيّ" اسم". (أبو علي الفارسي، د.ت، ص ١٧٧)، (الإسعردي، ص١٣٠).

وأرى أنَّ أبا علي جانب الصّواب فيما ذهب إليه من كون "ولاسِيَّما" من أدوات الاستثناء، وذلك لأنَّ "ولاسيّما" لاتقع موقع أدوات الاستثناء ولا تُغْنِي عنها، والفرق بينها وبين أدوات الاستثناء جد واضح، زِدْ على ذلك أنَّ الذي يلي "ولاسيَّما" داخلٌ فيما قبلَهُ ومشهودٌ له بأنّه أحقّ بذلك من غيرِهِ، فليس ما بعد "ولاسِيّما" مخرجًا من عموم ما قبلها، اللهم إلا أن يكون أبو علي قصد الاستثناء اللغوي، لا الاستثناءَ في اصطلاح النحاة؛ لأنَّ"ولاسيّما" في الحقيقة تُخْرِجُ بَعْضًا من كُلٍّ قبلَها، بَيْدَ أنَّه لا يخالِفُهُ في الحكم؛ لأنَّ قولك:"أُحِبُّ المُسْلِمِيْنَ ولاسِيَّما التقيُّ" فـ"التّقي" فيه مخرَج من كُلٍّ وهو"المسلمين" وهو يشارك المسلمين في الحبّ، ويزيد عليهم في ذلك؛ لكنّه على غير سَنَنِ الاستثناء الاصطلاحيّ لدى النّحاة، فما بَعْدَ "ولاسيّما" لايخالف ما قبلها في الحكم، بخلاف قولك:"جَاءَ الطُّلَّابُ إلا زَيدًا" فإنَّ زيدًا لم يشارك الطلاب في المجيء، وعلى ذلك فلاسبيل إلى إلحاق ولاسيّما بأدوات الاستثناء. (باكير، ص١٦١).

وعلى أي حال، فإنَّ أصل أدوات الاستثناء "إلّا" وهي حَرْفٌ باتّفاق، ولم يخالف في ذلك أحد، وللمستثنى بها أحكام، وضابط ذلك أنَّه لا يخلو حرف"إلّا" من أن يكون استثناءً في المعنى دون اللّفظ، أو يكونَ استثناء في اللّفظ والمعنى، فإن كان استثناءً في المعنى دون اللفظ، كان ما بعدها على حَسَبِ العامل الذي قبلها من رَفْعٍ أو نَصْبٍ أو خَفْضٍ، كقولك: "ما قَامَ إلا زيدٌ"، و"ما رَأَيْتُ إلا زيدًا"، و"ما مَرَرْتُ إلا بزيدٍ"، وهذا الضَّرْبُ من الاستثناء هو الذي يسميه النحاة مُفَرَّغًا، بمعنى: أن العامِلَ الذي قبل "إلا" مُفَرَّغٌ لما بعدَها، أي: أنَّه يطلبه طَلَبَ العامِلِ للمَعْمُولِ". (ابن الفَخَّارِ، د.ت، ج٣/ص٩٥٥)، (كمي، ص١١١-١١٥).

وإن كان حرف الاستثناء "إلا" استثناء في اللَّفْظِ والمعنى، فإنّها تكون على وجهين: الأوّل: أن يكون ما قبلها ممّا يصحّ فيه التّفريغ لما بعدها، والثّاني: أن يكون ممّا لا يصحّ فيه التّفريغ، فإن كان ممّا يصحّ فيه التّفريغ، جاز في المسألة وجهان:

أحدهما: أن يكون ما بعدها تابعًا لما قبلها على البدليّة، بحيث يصحّ إعرابه بدلًا ممّا قبله، كقولك:"مَا قَامَ القَوْمُ إلا زَيْدٌ"، و"مَا رَأَيْتُ القَوْمَ إلا زَيْدًا"، و"مَا مَرَرْتُ بالقَوْمِ إلا زَيْدٍ"، فكلمة "زيد" في الأمثلة الثلاثة بدل من المستثنى منه، والبدل تابع للمبدل منه في حركة إعرابه. والوجه الثّاني: النَّصْبُ على الاستثناء، بمعنى أن يكون ما بعد إلّا منصوبًا على الاستثناء. والإتباع على البدلية أكثر في كلام العرب، وأما النصب على الاستثناء، فعربيٌّ جيد، وقد قُرِئَ به في السّبعة في قوله تعالى: ﴿ما فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء/٦٦] والذي دفع النحاة إلى تقديم الإتباع على البدليّة شيئان:

أحدهما: حصول المشاكلة بين ما بعد "إلا" وما قبلَها، ومن عادة العرب ودَيْدَنِهم أن يحافظوا على المشاكلة بين الألفاظ مع فساد المعنى كما في قولهم:"هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ"، فمحافظتهم عليها مع صحة المعنى أولى. وقد قالوا في إعراب النعت " خَرِبٍ": إنه معرب بالمجاورة؛ لَمَّا جاور المجرور، لحقته الكسرة ليتناسب اللفظان بالإعراب، والأصل أنَّ كلمة "خَرِب" نعت للجُحْرِ لا الضَّبِّ، فكان ينبغي أن ترفع، لكنهم قدموا الجر على الرفع لحصول المشاكلة بين المتجاوِرَين.

والأمر الآخر: أنَّ المستثنى في العربيّة مُشَبَّهٌ بغيرِهِ، والبدل قائِمٌ بنفسه غيرُ مشبه بغيره، وكونُ الشيءِ جَارِيًا على حكم نفسِهِ أولى من أن يكونَ جاريًا على حُكْمِ غَيرِهِ، لذا قدمت البدلية على النصب على الاستثناء". (ابن الفخار، د.ت، ج٣/ص٩٥٩).

وإن كان ماقبل "إلّا" مما لا يصح فيه التّفريغ، تعين نصب ما بعد"إلّا" على الاستثناء، وذلك كما في قولك:"جَاءَ الطُّلابُ إلّا محمدًا" فَيَتَعَيَّنُ النَّصْبُ في هذا الاستثناءِ التَّامِّ المُثْبَتِ، فلايجوز في كلمة "محمدًا" سوى النصب، وإنَّمَا وجب النَّصْبُ في المستثنى من المُوجَب؛ لأن التَّفْرِيْغَ لا يجوز فيه، والإبْدَالُ -أَيْضًا- لا يجوز في نحو: "جاءَ القَوْمُ إلا زيدًا"؛ لأنَّكَ لَوْ أَبْدَلْتَ، كان المُبْدَلُ مِنْهُ في حُكْمِ السَّاقِطِ، فَيُؤَدِّيْ إلى التَّفْرِيْغِ في الإيجاب، فلم يَبْقَ إلا الحكم بوجوب النّصب على الاستثناء". (الرّضِيّ، ١٩٩٩، ج٢/ص٨٣).

وأمَّا الفراء –وهو من رؤوس نحاة الكوفة-، فقد شَقَّ لنفسه طريقًا، خالف فيه النحاة، فرأى أنَّ "إلا" مُرَكَّبَةٌ من حرفين:"إنْ" و"لا" فإذَا نُصِبَ بها فَقِيلَ: "جَاءَ القَوْمُ إلا زَيْدًا"، فالنَّاصِبُ عِنْدَهُ"إنْ" و"لا" مُلْغَاةٌ، كَأَنَّهُ قال: "قَامَ القَوْمُ إنَّ زيدًا لا" أي:

لم يَقُمْ، فَقِيْلَ لَهُ: فَأَيْنَ الخَبَرُ؟ فَقال: أُكْتُفِيَ بالخِلافِ من الخَبَرِ، وذلك أنَّ ما بعد إلا مخالف أبدًا لما قبلَها، وإذا رَفَعَ بها، فقيل: "قامَ القَوْمُ إلا زيدًا" فالرَّافِعُ عنده "لا" و"إنْ" مُلْغَاةٌ كأنه قال: "قَامَ القَوْمُ لا زَيْدٌ". (الزجاجي، ١٩٨٥، ص ٣٦). وهذا تَحَكُّم من الفراء، ودَعْوَى تنقصها الدقة، ورأيٌ فيه نَظَرٌ، ولاتبرحه النفس مطمئنة، وذلك أنَّ إلغاء"إنْ" -وقد بُدِئ بِهَا - ما لم يعهد في كلام العَرَبِ ولا يُعْرَفُ له نَظِيرٌ وشبيه؛ لأن العَرَبَ قد أجمعوا على أن المُلْغَى لايُبْتَدَأُ به ولايجوز أن تَقُوْلَ: "ظَنَنْتُ زَيْدٌ مُنْطَلِقٌ" على إلغاء الظَّنّ، وقد بَدَأْتَ به، وكذلك مَوْقِعُ "إنْ" في"إلا" إنْ كَانَتْ كما زعم مركبةً من حرفَينِ، فإلغاؤُها غيرُ جائِزٍ والرَّفْعُ بِهَا خَطَأٌ لِتَقَدُّمِ إنْ، وبهذا يتضح بشكل جليٍّ ضعف ما نحا إليه الفراء، ولا يخفى ما فيه من تكلف.

(إلّا) الاسميّةُ

والضَّرْبُ الثاني من أَضْرُبِ "إلّا" الّتي تطرّق إليها النّحاة في كتبهم، هو أن تكون "إلّا" وما بعدَها صفة لما قبلها، وحينئذٍ يشترط في موصوفها بعض الشروط، ولاتكون "إلا" صفة، إلا بتوفر هذه الشروط، واجتماعها، وهي:

١. أن يكون جمعًا مُنَكَّرًا، أو شِبْهَهُ: والمُرَادُ بِشِبْهِ الجَمْعِ المُنَكَّرِ، الجَمْعُ المُعَرَّفُ بِلامِ الجِنْسِ، والمُفْرَدُ غَيرُ المُخْتَصِّ بِوَاحِدٍ، وعلى هذا يمكن أن تقولَ: "جَاءَ القَوْمُ إلا زَيدٌ"، أو "جاءَ رجلٌ إلا زَيدٌ". فـ"إلّا" في هذين المثالين وقعت بعد جمع في مقام النّكرة، وهو"القوم"؛ لأنّ الاسم إذا كان محلّىً بلام الجنس، فهو في درجة الاسم النكرة، لأنه لايدل على معرّف بعينه. وفي المثال الثاني، جاءت "إلّا" بعد اسم مفرد "رجل" وكلمة "رجل" مَشَاع في اللغة، فلا تقع على رجل دون غيره، بل تطلق على أيّ رجل من أبناء آدم عليه السلام، أبيض أو أسود، عربي، أو أعجمي، أيًّا كانت صفته أو سمته. ومثال الجمع المنكر، قولك: جاء رجال غير زيد، وما شابه ذلك.

٢. أن تكون "إلا" بمعنى غير: وذلك كقولك: "جَاءَ رِجَالٌ إلا زَيدٌ"، أو "جَاءَ القَومُ إلا زيدٌ"، أو "جَاءَ رَجُلٌ إلا زَيدٌ"، وأمَّا ابنُ عصفور، فقد كان له رأي آخر، فذهب إلى أنّ الوصف بـ"إلّا" يخالف الوصف بغيرها من حيث إنَّهُ توصف بها النكرة والمعرفة، والظاهر والمضمر، فابن عصفور وسع المسألة، ورأى أنَّ "إلّا" لاتختص بوقوعها صفة لشيء معين، بل تقع صفة بشكل عامّ دون شرط أو قيد.

٣. أن يكونَ ما بعد "إلا" اسمًا مفردًا، لا جملة: فلو قلت: "مَاجَاءَني رِجَالٌ إلا زَيْدٌ خَيرٌ مِنْهم" وأنت تريد الصّفة، لم يجز؛ لأنَّ غيرًا لا يكون فيها ذلك؛ لأنَّها تُضَافُ إلى المفرد لا إلى الجملة". (القرافي، د.ت،ص ٢٥٠).

وفي هذه الحالة يُنْقَلُ إِعْرَابُ "إلّا" إلى الاسم الذي بَعْدَها، وذلك لأنَّها جاءت على صورة الحرف وشاكِلَتِهِ، والحرف لا يَدْخُلُهُ الإعرابُ، فحين نقول: جَاءَ طلاب إلا محمدٌ، فـ"إلّا" صفة للطلاب، و"محمدٌ، مضاف إليه مجرور، وعلامة جره الكسرة المقدرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة الصفة المنقولة من "إلّا" إلى محمد.

وقد عقد إمام النحاة سيبويه في كتابه بابًا سماه "باب مَا يَكُونُ فِيْهِ "إلا" ومَا بَعْدَهُ وَصْفًا بِمَنْزِلَةِ مِثْلٍ وغَيرٍ" فقال: "وذلِكَ قولُكَ: لَوْ كَانَ مَعَنا رَجُلٌ إلا زَيدٌ، لغُلِبنا"،والدَّلِيْلُ على أنَّهُ وَصْفٌ أَنَّكَ لو قُلْتَ:"لَوْ كَانَ مَعَنا إلا زَيدٌ لَهَلَكْنا" وأَنْتَ تُرِيدُ الاستثناءَ، لَكُنْتَ قَدْ أَحَلْتَ، أي: أتيت بالمُحَالِ وهو الشيء الذي لا يمكن تَصَوُّرُهُ و وجودُهُ. ونَظِيرُ ذلِكَ قولُهُ عزَّ وَجَلَّ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء/٢٤]، (سيبويه، ١٨٨٨،ص١٥٨).

فسيويه يرى أنَّ "إلّا" في الآية الكريمة الآنفة الذّكر صفة للآلهة بمعنى "غير"، ولا يستقيم أن ننحو بها نحو الاستثناء لعدم استقامة المعنى حينئذٍ؛ لأنَّ المُرادَ من الآية نفيُ الآلهة المتعدّدةِ، وإثبات الإلهِ الواحِدِ الفَرْدِ، وهو الله جل شأنه، ولا يَصِحُّ الاستثناءُ بالنّصبِ؛ لأنَّ المعنى حينئذٍ يكون "لَوْ كَانَ فِيْهِمَا آلهةٌ، لَيْسَ فيهمُ اللهُ لَفَسَدَتا"، وذلِكَ يَقْتَضِي أنه لو كانَ فِيْهِما آلهةٌ، فيهمُ الله، لم

تَفْسُدَا، وهذا ظاهرُ الفَسَادِ، بيّن الخطأ، وهذا نظير قولنا: لو قاتل الجنود إلا محمدًا، لفشلوا، أي: لو قاتلوا، وليس معهم محمد، فهو مستثنى منهم، وليس بينهم؛ فهم لم يفشلوا لأنّ بينهم محمدًا.

وقد تبع سيبويه في ذلك غيرُ واحدٍ من النحاة، فهذا المبرّدُ قد عقد في المقتضب بابًا سمَّاه"مَا تَقَعُ فِيْهِ "إلا" ومَا بَعْدَها نَعْتًا بِمَنْزِلَةِ غَيرٍ" وقد مَثَّلَ المبرّدُ لهذا الضَّرْبِ بالآية الكريمة الآنفة الذِّكْرِ، وبعض الأبيات الشّعريّة، كقول الشّاعر:

أُنيخَتْ فألقَتْ بَلْدَةً فَوْقَ بَلْدَةٍ***قَلِيلٍ بِهَا الأَصْوَاتُ إلا بُغَامُه[1]

كأنه قال:"قَلِيْلٍ بِهَا الأَصْوَاتُ غَيرُ بُغَامِها"، فـ"إلّا" في مَوْضِعِ غَيرٍ، (المبرد، د.ت، ج١/ص٤٠٩) وحين نمعن النّظر في الشّاهد الشّعريّ الّذي ساقه المبرّد نلحظ أنّ قول الشّاعر: "إلّا بغامها" بمعنى، غير بغامها، وقد اجتمعت شروط "إلّا" الواقعة صفة، وبهذا فـ"إلا" صفة للأصوات، نقلت حركتها إلى تاليها.

وقد نسب ابن هشام في كتابه"مغني اللّبيب" إلى المبرد أنّه يرى أنَّ لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء/٢٤] ليس صفة، وإنَّما هو بدل مما قبله، وعلى هذا فتكون "إلا" للاستثناء وليست صفة، فقال: "وَزَعَمَ المُبَرِّدُ أَنَّ "إلّا" في هذِهِ الآيَةِ للاسْتِثْنَاءِ، وأنَّ ما بَعْدَها بَدَلٌ، محتجًّا بِأَنَّ "لَو" تَدُلُّ على الامتناع، وامتناعُ الشَّيءِ انتفاؤُهُ، و زَعَمَ أنَّ التَّفْرِيْغَ بَعْدَها جَائِزٌ". (ابن هشام، د.ت،ص ٩٩).

والحَقِيقَةُ أنَّ ما أثبته ابن هشام مخالف لما هو مثبت في نَصِّ "المُقْتَضَبِ"، فالمبرّدُ ذكر الآية نفسَها، وبين أنَّها صفة لما قبلها، وليس له نصّ موجود فيه أنَّ هذه الآية من قبيل الاستثناء، وليست من قبيل الوصف، وقد تتبعت ما بين يدي من كتب المبرد، ولم أهتد إلى ما أثبته له ابن هشام، ولعلّ ذلك رأي عَدَلَ عنه في أحد كتبه التي لم يكتب لها الوصول إلينا.

وهذا ما ذهب إليه العلامة الزَّجَّاجِيُّ في كتابه حروف المعاني، فقد تَطَرَّقَ إلى أنواع" إلّا" وذكر منها "إلّا" الاسميّة، فقال: "وأما "إلّا"، فإنها تَقَعُ نفيًا للنَّكِرَاتِ العَامَّة، كقَوْلِهِ تَعَالى:(الآية السابقة) مَعْنَاهُ لو كان فيهما آلهة غَيرُهُ". (الزّجاجيّ، ١٩٨٤،ص ٧).

وأمَّا العلامَةُ الزَّمَخْشَرِيُّ، فقد عقد بابًا في مُفَصَّلِهِ أَسْماهُ "الشَّبَهُ في المَعْنَى بَيْنَ "إلّا" وغَيرٍ" ورأى ثَمَّةَ أَنَّ هاتَيْنِ اللفظتينِ تَتَقَارَضَانِ ما لِكُلِّ واحِدَةٍ مِنْهُما، فتُحْمَلُ "إلّا" على"غَيرٍ" فَيُوْصَفُ بها، كما تُحْمَلُ "غير" على "إلا" فَيُسْتَثْنَى بها. (الزمخشري، ١٩٩٩، ٩٣). وفي الكشاف يقول متحدّثًا عن معنى الآية الكريمة الآنفة الذكر: "والمَعْنَى لو كانَ يَتولّاهما ويُدَبّرُ أمرَهما آلهةٌ شَتَّى غَيرُ الواحِدِ الذِي هو فاطِرُهما، لَفَسَدَتا". (الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ج٣/ص١١١).

(إلا) العَاطِفَة

سبق الحديث عن "إلّا" التي تقع استثنائية، وعن "إلا" التي تقع صفة بمعنى غير، وليس ثَمَّةَ من خالف في ذلك، فهناك اتفاق بين النحاة قاطِبةً على أنَّ "إلّا" تكون استثنائية، وتكون صِفَةً، بَيْدَ أنَّهم اختلفوا في بعضِ شروطِ الواقعةِ صفةً، لكنهم مُجْمِعُون على مجيئها صفة، وأمَّا "إلّا" العَاطِفَةُ التي نحن بصدد الحديث عنها، فقد اختلف فيها النحاة وتشعبت آراؤهم وتفرقت مذاهبهم، فأهل البصرة ينفون مجيء "إلّا" عاطِفَةً بمعنى الواو، ويردون ما استدل به الكوفيون، ويخرجونه على أوجه تتفق وأصولهم النحوية، وأهل الكوفة يقولون بذلك، ولهم أدلة يعضدون بها ما يميلون إليه، ولكلٍ أَدِلَّتُه. وإليك بيان هذا الاختلاف ممثلًا في فريقين:

[1] الشاعر هو ذو الرُّمَّةِ، غَيْلانُ بنُ عُقْبَةَ بن نهيس بن مسعود العدوي من مُضَرَ، وهُوَ من فُحُولِ الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ في عصره، قال أبو عمرو بن العلاء: فُتِحَ الشِّعْرُ بامْرِئِ القَيْسِ، وخُتِمَ بذي الرُّمَّة، توفي سنة ١١٧هـ. تنظر ترجمته في: (محمّد بن سلّام الجمحي، ج٢/ص٥٣٤).

الفريق الأوّل: وهو مَذْهَب جمهور أهل البصرة الّذين يَرَوْنَ أنَّ "إلّا" لاتكونُ عاطفةً بمعنى الواو، وذلك لأّن "إلّا" حرف وضعه العرب للاستثناءِ، والاستثناءُ يَتطلّب إخراجَ الثَّانِي من حُكْمِ الأَوَّلِ، والوَاوُ للجَمْعِ، والجَمْعُ يَقْتَضِي إِدْخَالَ الثَّانِي في حكمِ الأَوَّلِ، فلا يكونُ أحدُهما بمعنى الآخَرِ، فالقول بذلك ضَرْبٌ من التناقُضِ، وإنمَّا قلت: إنَّ هذا مذهب جمهور البصريين وليس البصريين؛ لأنَّ بعضَ البصريين يرَوْنَ ما يراه الكوفيون من مجيءِ "إلّا" عاطِفَةً، فقد نَصَّ على ذلك الخليلُ بنُ أحمدَ الفَرَاهِيْدِيُّ في كتابه"الجُمَل في النَّحْوِ". (الخليل، ١٩٩٥،ص ١٧٧،وص ٣١٨).

الفريق الثاني: وهو "مذهب الكوفيين الذين يرون أنَّ "إلّا" ترد في العربية حرفَ عطف، وحجتهم في ذلك أنَّ "إلّا" وردت عاطفة بمعنى الواو في كتاب الله تعالى، وكلام العرب، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾[البقرة/١٥٠] أي: ولا الذين ظلموا، يعني والذين ظَلموا لاتَكُونُ لهم -أيضًا- حُجَّةٌ، ويؤيّدُ ذلِكَ ما رواه أبو بكرِ بنِ مجاهدٍ عن بعض القُرَّاءِ أنه قَرَأَ: ﴿إِلَى الذِيْنَ ظَلَمُوا﴾ مُخَفَّفًا يعني: مَعَ الذِيْنَ ظَلَمُوا منهم، وهذه القراءة شاذة، وقد أشار إليها السمين الحلبي، (السّمين الحلبيّ، ج٢/ص١٧٧). كما قال تعالى: ﴿فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ﴾[المائدة/٦] أي: مع المرافق ومع الكعبين، وكما قال تعالى: ﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[آل عمران/٦]، أي: مع الله، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾[النّساء/٢]، أي: مع أموالِكُم، وكقولِهم في المثل" الذَّودُ إلى الذَّوْدِ إبِلٌ" أي: مَعَ الذَّوْدِ". (الأنباري، ج١/ص٢٦٦).

والحاصل أنَّ جميع ما استدلّ به الكوفيون من آيات قرآنية يعضّدون بها ما يَصْبُونَ إليه، يحْتَمِلُ غيرَ العطف، ومعلوم أن الدّليل إذا طرقه الاحتمال بَطَل به الاستدلال، فالآية الأولى تحتمل أن تكون"إلّا" فيها للاستثناء المتّصل، والمعنى: لئلّا يكون لأحد من اليهود المنكرين عليكم حجّة إلا للمعاندين منهم، الذين قالوا: إن محمّدًا ترك قبلتنا واتجه إلى الكعبة ميلًا إلى دين قومه، ويحتمل أن يكون الاستثناء في الآية منقطعًا، وتكون "إلّا" بمعنى لكن، وليس هناك أي دليل قطعي للكوفيين على ما ذهبوا إليه، ولايعدو كونه احتمالًا، ويمكن حمله على غير ما ذهبوا إليه.

(إلَّا) الزَّائِدَة

يذْكُرُ النُّحَاةُ في كتبهم أنَّ (إلَّا) كما ترد حرفَ اِسْتِثْناءٍ، واسمًا بِمَعْنَى (غير)، فإنّها ترد أحيانًا زائدة، وينسب هذا الرأي إلى الأصمعيّ، وابن جِنّيْ، في كثير من كُتبِ اللُّغَةِ، (ابن هشام، د.ت،ص ١٠٢). والذي دفعهم إلى القول بزيادتها أنها وردت في مواطن لا يصلح أن تكون فيها حرف استثناء، أو اسماً بمعنى (غير)، ومُعْظَمُ كتب النحو التي تطرقت إلى هذا النوع من أنواع (إلا) نَجِدُها تقف عند قول ذِي الرُّمَّةِ

حَرَاجِيجُ مَا تَنْفَكُّ إِلَّا مُنَاخَةً***عَلَى الخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَدًا قَفْرًا[٣]

ومعنى البيت: تَظَلُّ هذِهِ الإِبِل السّمان باركة على الجوع والإهانة، حتى نَسْتَقِلَّها ونَجُوبَ بها بلادًا خَالِيَةً مِنْ أَثَرِ الحَيَاةِ.

والذي دَفَعَ النُّحَاةَ وحملهم على القول بزيادة "إِلَّا" في البيت السابق، أنَّ "مَا اِنْفَكَّ" التي هي من أخوات "كان" الناقصة لا يقترن خبرُها بـ"إلّا"؛ لذا قالوا بكونها زائدة؛ لأنه لم يعهد في العربية أن يقترن خبر "مَا اِنْفَكَّ" بحرف"إلا"، وهنا نجد كلامًا مرسلًا للنحاة في مؤلفاتهم، فمنهم من يخطئ ذا الرُّمّة في البيت السّابق على رواية نصب "مُنَاخَةً"، أمَّا إِنْ كَانَ بالرَّفْعِ، فلاحُجَّةَ فِيهِ، وقد نُقِلَ عن

[٣] البيت من البحر الطّويل، وهو موجود في: (ابن السراج، د.ت، ج١/ص١٧٠). وقوله: "حَرَاجِيجُ: جمع حُرجُوجٍ، وهي النَّاقَةُ الجَسِيمَةُ السَّمِينَةُ، أو الشَّدِيدَةُ، والخَسْفُ: يقال: بَاتَ فُلانٌ الخَسْفَ، أو على الخَسْفِ، أي: بَاتَ جَائِعًا، والخَسْفُ كذلِكَ هو الإِذْلالُ، قَفْرًا: القَفْر: هُو المكانُ الذي لا نَبَاتَ فِيهِ، ويُطْلَقُ عَلَى المرأة التي لا تَلِدُ، والعَجُوزِ الهَرِمَةِ". الزبيدي، (الزبيدي، د.ت، ج١٣/ص٤٥٨).

أبي عَمْرِو بنِ العَلاء أَنَّهُ قَالَ:"أَخْطَأَ ذُو الرُّمَّةِ في قَولِهِ: حَرَاجِيجُ مَا تَنْفَكُّ إلا مُنَاخَةً . . . البيت. في إِدْخَالِهِ "إِلَّا" بَعْدَ قَولِهِ: مَا تَنْفَكُّ، (البغدادي، ١٤١٨، ج٣/ص٢٥١)

وقد احتال بعض النّحاة لذي الرمة، وحاولوا جاهدين أن يخرّجوا بيته على وجه معتدٍّ به في العربيّة، فذو الرمة قامة كبيرة في الشّعر، وله باع طويل في العربية، وليس من السّهل أن ينسُب النّحاة إليه الخطأ، بل علهم أن ينعموا النظر ويمعنوه جيدًا في قريضه، وأن يتأنوا في اتخاذ أي حكم بحق شعره، وبخاصة إذا علمنا أن ذا الرّمّة من الشّعراء المحتجّ بكلامهم، وليس من المولدين الذين رفض العلماء الاحتجاج بشعرهم، ولهذا نجد بعض العلماء يذهب إلى أنَّ "تَنْفَكُّ" في البيت تامّة، بمعنى: ما تفارق، (الرّضِيّ، ١٩٩٩، ج٤/ص١٩٧). وذهب آخرون إلى أنّ الرواية الصحيحة لبيت ذي الرمة الآنف الذكر: (آلاً) بالتّنوين، أي: شخصًا، وليست (إِلَّا)، والخطأ من الرّاوي، و ذو الرُّمَّةِ مُبَرَّأٌ مِن هذِهِ السَّقْطَةِ والغلطة التي نسبت إليها.

وقد وقف سيبويه في كتابه عند بيت ذي الرّمة السّابق، ولم يشر إلى ما يتعلق بمسألتنا، ولكنه ذكره في كتابه لتبيين أن ما بعد "أو" في البيت، وهو قوله:(نَرْمِي) يجوز أن يكون عطفًا على الفعل "ماتنفكّ" أو أن يكون ما بعد "أو" ابتداء، فيكون خبرًا لمبتدأ محذوف. (سيبويه، ١٩٨٨، ج٣/ص٤٨).

والذي أراه في البيت السابق أنَّ كلمة "إلّا" وردت في ضرورة الشّعر، ولم ترد في سَعَةِ الكلام ونثره، وبناء على ذلك لا مُبَرّرَ للقول بوجود نوع خاص من أنواع "إلا" وهو الزّائدة، بل غايةُ ما في الأمر، أنَّ الشّاعر اُضْطُرَّ إلى ما يُقِيمُ بِهِ الوَزْنَ، فأتى بكلمة "إلّا" لتحقيق هذا المطلب، والذي يؤيد ما أذهب إليه، أنَّ هذا الضرب من الاستخدام لا أثر له في النّثر العربيّ، فإذا علمنا أن الشّاعر له ما يريد من التصرفات اللغوية - بِغَضِّ النَّظَرِ عَن كونِها حَسَنَةً أو قَبيحَةً -أدركنا أن ما قام به ذو الرّمّةِ، لا يعدو كونَهُ ضرورةً شعرية.

(إِلَّا) الشَّرطِيَّةُ

النّوع الخامس من أنواع "إلّا" هُوَ "إلّا" المركَّبَةُ من "إنْ" الشَّرطيَّةِ، و"لا" النَّافِيَةِ، وكتابَتُها تكون بِإِدْغَامِ نُونِ "إنْ" بلام "لا" فتصير "إِلَّا"، والأصل أن "إلّا" هذه ليست من أنواع "إلا"، ولكن حين أدغمت أداة الشّرط "إنْ" بـ"لا" النافية، صارت في الشكل واللفظ مثل"إلا" الاستثنائيّة، لذا لابد من التنبيه إلى هذه النوع، ومن ذلك قول الشاعر:

فَإِنْ يَكُنِ النِّكَاحُ أحَلَّ شَيءٍ ***فإنَّ نِكَاحَهَا مَطَرًا حرامُ

فطِلْقَها فَلَسْت لها بكُفْءٍ***وإلّا، يَعْلُ مَفْرِقَك الحُسَام[٤]

والتّقدير: وإلاّ تطلِّقها، يَعْلُ مَفْرِقَكَ الحُسام". (ابن عقيل، ١٤٠٠، ج٤/ص٤٢).

أي: وَ إِنْ لَا، ولكن القواعد الإملائية تقتضي أن تدغم لا النافية بـ"إن" الشرطية قبلها فتصير "إلا". (كتاب الإملاء، ١٤٠٥،وص ١٥٠، وص١٥١). ومن هذا الضرب قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾[التوبة/٤٠]. فأصلها في الآية الآنفة الذكر "إِنْ لا" وقد تَلْتَبِسُ "إلّا" المكونة من "إِنْ" الشَّرطِيَّةِ" و "لا" النَّافِيَةِ بأداة الاستثناء "إلّا" وهذا الالتباس يَقَعُ على من بِضَاعَتُهُ في العربية مُزْجَاةٌ ، وقد أشار إلى ذلك ابن هشام في المغني، فقال:"وَقَدْ بَلغني أَنَّ بَعْضَ مَنْ يَدَّعِي الفَضْلَ سُئِلَ في (إلا تَفْعَلُوهُ) فَقَالَ: ما هذا الاسْتِثْنَاءُ أَمُتَّصِلٌ أَمْ مُنْقَطِعٌ"؟ (ابن هشام، د.ت،ص ٣٣).

[٤] الشاعر هو الأحوص، والبَيتُ مِنَ الوَافِر، وقوله: المَفرِق: وَسْطُ الرّأسِ، والشّاهدُ فيه: "وإلاّ يعل" حيث أُدْغِمَت "إنْ" بـ"لا" وحُذِفَ فعلُ الشّرط لِدَلالَة ما قبله عليه.

(إلَّا) الاسْتِدرَاكِيَّة

هذا هو القسم الأخير من أقسام "إلّا" وقد أطلقت على هذا القسم اسم "إلّا الاسْتِدْراكِيَّة"، وذلك لأنَّ "إلا" وَرَدَتْ في العربِيَّةِ بمعنى "لكِنْ" ومعلوم أنَّ (لكِنْ) تَدُلُّ عَلَى الاستدراكِ فِي العَرَبِيَّةِ، ولهذا الضرب من أقسام "إلّا" نماذج كثيرة وردت في التراث العربي، وسأقف عند بعضها؛ لأبين كيفية دلالتها على الاستدراك.

فمن ذلِكَ ما روي عن النَّبِيِّ ﷺأنه قال:"كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَىً إلا المُجَاهِرُونَ". (مجد الدّين الجزريّ، د.ت، ج١١/ص٧٤٣). أي: لكن المجاهرون غير مُعَافَينَ، وهذه الرواية جاءت برفع مابعد "إلّا"، والقياس النّحويّ يقتضي أن يكون ما بعد "إلّا" منصوبًا؛ لأن الاستثناء في الحديث تامّ موجب، ولكن هذه الرواية وصلت إلينا بالرفع، وتخريجها على أنَّ "إلّا" استدراكية، أي: أن "إلا" بمعنى "لكن"، وفي بعض الرِّوَايَاتِ التي روي بها الحديث "إلا المجاهرين" بالنصب، وفي هذه الرواية، سيكون الحديث الشريف من القسم الأول، وهو "إلّا" الاستثنائية.

قد ورد كذلك عن النبيّ ﷺأنّه قال:"فَلَمَّا اِنْصَرَفُوا، أَحْرَمُوا كُلُّهُم، إِلَّا أَبُو قَتَادَةَ لَمْ يُحْرِم"، (محمد فؤاد عبد الباقي، د.ت، ٣٥٣). أي: لكن أبو قتادة لم يحرم، ففي هذه الرواية، تكون "إلّا" استدراكية، بمعنى أنّ ما بعدها على نيّة الاستئناف، وليس مخرجًا ممّا قبله، أو مرتبطًا به، فأبو في هذه الرواية مبتدأ، والجملة بعده خبر. وقد جاء هذا الحديث بالنصب في روايات أخرى. منها رواية البخاري، ورواية النصب تخرج "إلّا" من دائرة الاستدراكيّة إلى دئرة الاستثناية. (البخاريّ، د.ت، ج٢/ص٦٥٤).

وبالرجوع إلى القرآن الكريم، فقد وردت "إلّا" الاستدراكية في بعض القراءات القرآنية، فقد قرئ قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾[يونس/٩٨]. برفع "قوم" أي: لكن قوم يونس آمنوا، فكشفنا عنهم العذاب، وهذه القراءة غير متواترة، وقد نسبت إلى الكسائيّ، والجَرْميّ. (أبو حيان، ١٤٢٠، ج٥/ص١٩٢).

وقد تطرق السمين الحلبي إلى هذه الآية الكريمة، فقال:"وقرأت فِرْقَةٌ: "إلا قومُ " بالرَّفْعِ، وقال الزمخشريّ: وقُرِىءَ بالرَّفْعِ على البَدَلِ، رُوي ذلِكَ عَنِ الجَرمِيّ والكِسَائِيّ، وقال المهدوي: والرَّفْعُ على البَدَلِ من (قَرْيَةٌ)، فظاهر هاتين العبارتين أنها قراءةٌ منقولةٌ، وظاهرُ قول مكيّ وأبي البقاء أنها ليسَتْ قراءة ، وإنما ذلك من الجائز ، وجعلا الرفعَ على وجهٍ آخرَ غيرِ البدل وهو كونُ "إلا" بمعنى:(غير) في وقوعها صفةً. (السمين الحلبي، ج٦/ص٢٩٦).

وقد أشبع ابن مالك هذه المسألة شرحًا، وتوضيحًا في كتابه المشهور"شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح" وذكر ثمة بعض القراءات القرآنية التي جاءت فيها "إلا" استدراكية، وبعض الأحاديث كذلك، فمن الآيات قوله تعالى: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ﴾[هود/٨١]. فقد قرأها ابن كثير، وأبو عمرو برفع (اِمْرَأَتُكَ) وبهذا تكون "إلّا" استدراكية، و(اِمْرَأَتُكَ) مبتدأ، خبره الجملة التي تليه، يقول ابن مالك: "ولا يصح أن تجعل امرأتك بدلا من "أحد"؛ لأنها لم تسر معه، فيتضمنها ضمير المخاطبين، ودل على أنها لم تسر معه قراءة النصب، فإنها أخرجتها من أهلة الذين أمر أن يسري بهم، وإذا لم تكن في الذين سري بهم، لم يصح أن تبدل من فاعل "يلتفت"؛ لأنه بعض مادل عليه الضمير المجرور بـ"من"، وتكلف بعض النحويين الإجابة عن هذا بأن قال: لم يسر بها، ولكنها شعرت بالعذاب فتبعتهم، ثم التفتت فهلكت، وعلى تقدير صِحة هذا، فلا يوجب ذلك دخولها في المخاطبين بقوله: ﴿ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ﴾. (ابن مالك، ١٤١٣،ص ٩٤،وص ٩٥).

وقد تكلّف كثير من النحويين رد هذه الآيات، والأحاديث إلى دائرة الاستثناء، محاولين إلحاقها بوجه من الوجوه به، وقد كان ليًّا للمعاني وتطويعًا لها؛ لتكون وَفْقَ قواعد بنيت على استقراء ناقص، وكان الأحرى أن تُصَوَّبَ القواعد وتُتَمَّمَ، لا أن تُخْضع

النصوص لها، ومازلت أقول إنّ معظم الخلافات الدائرة في مجال اللغة تعود إلى كون التقعيد مبنيًّا على استقراء ناقص، فالبصريون يقدسون القاعدة، وما خالفها يرمى بالشذوذ، أوالضرورة، والكوفيون يُقَعِّدون للقول الواحد، وإن كان مُعَلًّا أو مجهولًا.

الخاتمة

خلص الباحث بعد هذه الوقفات مع أنواع إلا واستخداماتها، وأمثلتها، وآراء النحاة فيها، والوقوف عند رأي كل مذهب، خلص إلى ثلة من النتائج، والتي تعد ثمرة هذا التطواف بين تيك النصوص التي استخدمت فيها "إلا"، وهي:

١. عدم صحة ما نسبه ابن هشام في كتابه"مغني اللَّبيب" إلى المبرد من أنَّه يرى أنَّ لفظ الجلالة في قوله تعالى ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[الأنبياء/٢٢]. ليس صفة، وإنَّما هو بدل مما قبله، فما أثبته ابن هشام مخالف لما هو مثبت في نَصِّ "المُقْتَضَبِ"، فالمبرِّدُ ذكر الآية نفسَها، وبين أنَّها صفة لما قبلها، (المقتضب، د.ت، ج١/٤، ٤٠٩). وقد تتبّعت ما بين يدي من كتب المبرد، وأنعمت النظر فيها، ولم أهتد إلى ما أثبته له ابن هشام، ولعل ذلك رأي عَدَلَ عنه في أحد كتبه التي لم يكتب لها الوصول إلينا، أو أنَّ ابن هشام سها في هذه النسبة، ونسب إلى المبرد ما لم يقله.

٢. لا مُبَرِّرَ للقول بوجود نوع خاص من أنواع (إلّا) وهو الزائدة، بل غايةُ ما في الأمر، أنَّ الشاعر اُضْطُرَّ -كَمَا فِي بَيتِ ذِي الرُّمَّةِ- إلى ما يُقِيمُ بِهِ الوَزْنَ، فأتى بكلمة (إلّا) لتحقيق هذا المطلب، والذي يؤيد ما أذهب إليه، أنَّ هذا الضرب من الاستخدام لا أثر له في النثر العربي، فإذا علمنا أنّ الشاعر له ما يريد من التصرفات اللغوية - بِغَضِّ النَّظَرِ عَن كونها حَسَنَةً أو قَبيحَةً - أدركنا أن ما قام به ذو الرُّمَّةِ، لا يعدو كونَهُ ضرورةً شعرية، وبهذا يتبين لنا بوضوح أنّ قول من قال بوجود نوع خاص لـ"إلا" وهو الزائد بعيد عن الصواب، لكونه واردًا في ضرورة الشعر، لاسعة النثر.

٣. ما ذهب إليه أبو علي الفارسي من كون"ولاسِيَّما" من أدوات الاستثناء بعيد، وذلك لأنَّ "ولاسيما" لاتقع موقع أدوات الاستثناء ولا تُغْنِي عنها، زِدْ على ذلك أنَّ الذي يلي "ولاسيَّما" داخلٌ فيما قبلَهُ ومشهودٌ له بأنّه أحقّ بذلك من غيرِهِ.

ثَبَتُ المَصَادِرِ المَرَاجِعُ

ابن مالك، شرح التسهيل، (القاهرة: هجر للطباعة والتوزيع والنشر والإعلان، ط١، ١٩٩٠).

أبو البركات الأنباري، الإنصاف، (مصر: المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٤ه).

أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، المقتضب، تح: محمد عبد الخالق عضيمة، (بيروت: عالم الكتب).

أبو القاسم جار الله الزّمخشريّ، الكشاف، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧).

أبو القاسم جار الله الزّمخشريّ، المفصل، تح: علي بو ملحم، (بيروت: مكتبة الهلال، ط١، ١٩٩٣م).

أَبُو بِشْر، عمرو بن عثمان، سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام هارون، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ط٣، ١٤٠٨ه، ١٨٨٨م).

أبو بكر بن السراج، الأصول في النحو، تح: عبد الحسين الفتلي، (بيروت: مؤسسة الرسالة).

أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسيّ، البحر المحيط، تح: صدقي محمد جميل، (بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠ه).

أبو عبد الله بن الفخار، شرح جمل الزجاجي، تح: د.حماد بن محمد الثمالي، (السعودية: جامعة أم القرى).

أبو علي الفارسي، الإيضاح، تح: الدكتور كاظم بحر المرجان، (مصر: عالم الكتب).

أبو علي الفارسي، الحجة في القراءات السبع، تح: بدر الدين قهوجي-بشير جويجابي، (دمشق: دار المأمون للتراث، ط٢، ١٤١٣ه).

أحمد بن يوسف السمين الحلبي، الدر المصون، تح: أحمد الخراط، (دمشق: دار القلم).

أحمد كهي، إعراب كلمة التوحيد حول كتاب إنباه الأنباه على تحقيق إعراب لا إله إلّا الله لإبراهيم الكوراني، أنقرة: منشورات الإلهيات، ٢٠١٩).

باكير محمد علي، وظيفة العناصر النحوية، (أنقرة: إلهيات، ط١، ٢٠٢٠م)

جمال الدين ابن هشام الأنصاريّ، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، تح: يوسف البقاعي، (دمشق: دار الفكر).

جمال الدين ابن هشام، مغني اللبيب، تح: مازن المبارك، محمد علي حمد الله، (دمشق: دار الفكر، ط٦).

جمال الدين بن مالك، شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تح: د.طه محسن، (مصر: مكتبة ابن تيمية، ط٣، ١٤١٣ه)

الخليل بن أحمد الفراهيدي، الجمل في النحو، تح: فخر الدين قباوة، (ط٥، ١٤١٦ه، ١٩٩٥م).

خليل بن حسين الإسعردي، الكافية الكبرى في النحو، تح: إسلام جانكير، تحرير: خالد خالد، (إسطنبول: سونجاغ أكاديمي، ط١، ٢٠٢٠م).

شمس الدين بن قَايْمَازَ الذَّهَبِيُّ، سِيَرُ أعلام النبلاء، تح: مجموعة من المحققين، (لبنان: مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٨ه).

شهاب الدين القرافي، الاستغناء في الاستثناء، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦م.

عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، اللّامات، تح: مازن المبارك، (دمشق: دار الفكر، ط٢، ١٤٠٥ه ١٩٨٥م).

عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي، حروف المعاني، تح: علي توفيق الحمد، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٩٨٤م).

عبد القادر البغدادي، خزانة الأدب، تح: عبد السلام هارون، (مصر: مكتبة الخانجي، ط٤، ١٤١٨ه).

عبد الله بن عبد الرحمن بن عقيل، شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك، تح: محيي الدين عبد الحميد، (القاهر: دار التراث، ١٤٠٠ه).

مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تح: عبد القادر الأرنؤوط، (مصر: مكتبة الحلواني).

محمد بن إسماعيل البخاري، صحيح البخاري، تح: مصطفى البغا، (بيروت: دار ابن كثير).

محمد بن الحسن الرَّضِيُّ الإستراباذي، شرح الرضي على الكافية، تصحيح وتعليق: يوسف حسن عمر. (ليبيا: جامعة قاريونس، ط٢، ١٩٩٦م).

محمد بن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، تح: محمود محمد شاكر، (جدة: دار المدني).

محمد بن محمد الزَّبِيدِيُّ، تاج العروس، تح: مجموعة من المحققين، (القاهرة : دار الهداية).

محمد فؤاد عبد الباقي ، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، (مصر: دار إحياء الكتب العربية).